المـــرأة

بـــين

شريعة الإسلام والحضارة الغربية

كافة حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة

الإدارة: ٧ ش السراي. أول النيل ت. فاكس: ٩٨٧٩٢٤

الفرع: حدائق حلوان. بجوار عمارات المهندسين ت ٣٧٤٠٠٧١

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. المنصورة. ش.م.م

الإدارة والمطابع: المنصورة ش الإمام محمد عبده الواجهة لكلية الآداب

ت: ٣٤٢٧٢١ / ٣٥٩٢٢٠ / ٣٥٦٣٣٠

المكتبة: أمام كلية الطب ت. ٣٤٧٤٦٣ ص.ب: ٣٣٠ تلكس DWFA UN 24004

وحيد الدين خان
(المفكر الهندى الكبير)

المرأة
بين
شريعة الإسلام والحضارة الغربية

ترجمة : سيد رئيس أحمد الندوى
مراجعة : د / ظفر الإسلام خان

دار الصحوة
دار الوفاء

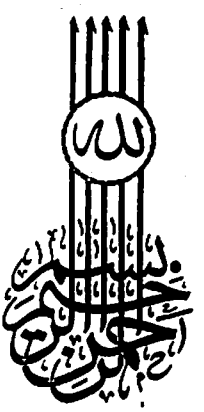
بسم الله الرحمن الرحيم

المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية

كلمة المراجع

نتشرف اليوم بتقديم كتاب جديد للمكتبة العربية من مؤلفات الأستاذ وحيد الدين خان الذى عرفه القارىء العربى من خلال **الإسلام يتحدى** وغيره من الكتب النفسية التى نقل بعضها إلى العربية .

وهذا الكتاب ، الذى بين أيدينا ، هو ترجمة الطبعة الثانية المنقحة لكتاب **خاتون إسلام** التى صدرت بالأردية سنة ١٩٨٨ . وكانت الطبعة الأولى من الكتاب قد صدرت سنة ١٩٨٦ عن مكتبة الرسالة بدلهى الجديدة . وقد أضفنا إلى الكتاب بعض الفصول والفقرات والمعلومات التى رأى المؤلف إضافتها بعد صدور الطبعة الثانية ، ومنها فصل تعدد الزوجات .

والكتاب استجابة لانتقادات حادة وجهتها الأوساط العلمانية فى الهند فى منتصف الثمانينيات ضد الشريعة الإسلامية (وخصوصا ضد مركز المرأة فى الإسلام) وذلك بعد رفض مسلمى الهند أى تغيير فيها فى أعقاب صدور حكم من المحكمة العليا بإلزام زوج مطلقة مسلمة بإعطائها نفقة « الإعالة » حتى بعد انتهاء العدة . وستجدون تفاصيلها فى طيات الكتاب .

وقد قام بالترجمة من الأردية زميلى الأستاذ سيد رئيس أحمد الندوى وهو من خريجى قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، وله خبرة طويلة فى هذا المجال . كما قمتُ بترجمة النصوص الإنجليزية التى أوردها المؤلف – وهى كثيرة – إلى جانب مراجعة الكتاب بدقة على النص الأردى . وكذلك قمنا ، حسب المستطاع ، بتخريج النصوص التى أشار إليها المؤلف .

والله ولى التوفيق وهو المستعان .

٢٧ يوليو ١٩٩١ .

د .ظفر الإسلام خان

مدير معهد الدراسات الإسلامية

والعربية بدلهى الجديدة

** ** **

تمهـيد

قام المستشرق البريطانى إدوارد وليام لين (١٨٠١ - ١٨٧٦) بترجمة معانى أجزاء مختارة من القرآن الكريم ، صدرت أولى طبعاتها فى لندن عام ١٨٤٣ ، وهو يقول فى مقدمتها بصدد تعريفه بتعاليم الإسلام : « إن الجانب المهلك للإسلام حطه من قيمة المرأة »[١]

وذاعت هذه المقولة حتى أخذ الناس يتداولونها بكل بساطة . وحتى بعد مرور قرن ونصف قرن لم تتغير نظرة الناس حول هذا الأمر . وقد ردد شَنْدراشُوْد (Y.V. Chandra Chud) كبير قضاة الهند هذه المقولة فى قراره فى قضية محمد أحمد / شاه بانو ، الخاصة بالطلاق والنفقة ، سنة ١٩٨٥ ، بدون أدنى تفكير فى محتوى هذه المقولة وكأنها حقيقة لا جدال حولها .

إن وصف وجهة نظر الإسلام عن المرأة بأنها حط من قيمتها تشويه متعمد للحقيقة . فالإسلام لا يقول عن المرأة : أنها أقل شأنا من الرجل ، بل جُلّ ما يقوله هو : إنها تختلف عن الرجل . فالقضية هنا تقتصر على أوجه التباين بينهما ، وهى لا تتعلق بتحديد من هو الأفضل بينهما .

ولو قال أحد الأطباء لمريض ما إن العين هى أكثر أعضاء جسدك دقة ، وينبغى ألا تعاملها كما تعامل ظفرك مثلا ، وعليك أن تكون أكثر حرصا على عينيك . . فكلامه هذا لا يعنى أنه ينتقص من العيون إزاء الأظفار ، وإنما هو يصف تباين العين عن الظفر .

إن قوانين الإسلام عن المرأة والرجل تنبع من حقيقة مبدئية هى أنهما جنسان منفصلان ، وتوجد بينهما فروق معينة ومحددة من الناحية التكوينية ، ولأجل ذلك لا ينبغى أن يكون لهما إطار عمل واحد ومشترك فى محيط الأسرة والمجتمع .

---

(١) Edward William Lane, **Selections From Kuran** (London 1982) P.XC.

فتباينهما على مستوى التكوين الأحيائى (البيولوجى) يحتم التباين على مستوى العمل والنشاط كذلك .

وظلت هذه هى وجهة نظر كافة الأديان السماوية ، على مدى آلاف السنين عن المرأة . ولم يثر شك حول هذا منذ آلاف السنين حتى العصر الحاضر . إلا أن حركة تحرير المرأة فى العصر الحديث طرحت للمرأة الأولى أمام العالم فكرة التماثل التام بين المرأة والرجل ، وطالبت بضرورة منحهما فرصا متساوية للعمل فى كافة المجالات .

لقد نشأت هذه الحركة فى بدايتها ببريطانيا خلال القرن الثامن عشر ، ومن ثم انتشرت إلى أوربا وأمريكا . وأصدرت مارى وولستون كرافت (Mary Wollstonecraft) كتابا عام ١٧٩٢ تحت عنوان : **تبريز عن حقوق المرأة** وخلاصته « أنه يجب أن تحصل النساء على نفس معاملة الرجال فى مجالات التعليم وفرص العمل والسياسة ويجب أن يطبق على كليهما معايير أخلاقية واحدة »[1] .

وقد تلقف أنصار تحرير المرأة هذه الدعوة بالتطبيل والتزمير حتى ترددت أصداؤها من أقصى المعمورة إلى أقصاها ، وساهم فيها الرجال والنساء على حد سواء ، حتى أصبح التحدث بعدم المساواة بين الرجل والمرأة من معالم التخلف اليوم . وكان هذا الفكر قد ساد كافة أرجاء العالم مع بداية القرن العشرين . فتم وضع قوانين ملائمة ، وجرى إفساح سائر المجالات للمرأة كالرجل تماما ، إلـخ . .

إلا أن هذه التجربة لقيت إخفاقا تاما من الناحية العلمية ، فحتى بعد كفاح دام حوالى قرنين لم تتحقق للمرأة المساواة التامة مع الرجل . وظلت المرأة متخلفة إلى الآن فى كافة مرافق الحياة ، تماما كما كانت قبل بدء حركة تحريرها ، ولم يتمخض عن هذه الحركة عمليا سوى أن المرأة غادرت بيتها ، وأصبح بالإمكان

---

(١) **دائرة المعارف البريطانية** (ط . ١٩٨٤) ١٠ / ٧٣٣ .

مشاهدتها وهى تتجول مع الرجل فى كل مكان . لقد فقدت المرأة أنوثتها ، ولكنها لم تتمكن من الوصول إلى الغاية التى فقدت من أجلها أنوثتها ، أى المساواة مع الرجل فى كافة المجالات .

هذا الإخفاق التام لحركة المرأة حمل الناس على بحث القضية من جديد . وبدأت حولها دراسات علمية جادة فى مختلف أنحاء العالم . وانتهت هذه الدراسات بالتأكيد على أن هناك تباينا تكوينيا بين كل من المرأة والرجل . وهذا التباين التكوينى هو العامل الأساسى الذى لا يمكّن المرأة من المساواة مع الرجل فى كافة مرافق الحياة . وكانت الفلسفات الزائفة قد شككت فى وجهة النظر الدينية عن المرأة ، إلا أن الحقائق العلمية عادت لتؤكد على صحتها من جديد .

والسؤال الآن : لماذا يواصل بعض الناس ترديد آراء عفا عليها الزمن ، بعد أن تبين أن موقف الدين إزاء المرأة هو عين الصواب ؟ ولماذا يظل الإسلام متهما بأنه ينتقص من قيمة المرأة ؟ .

ويدعى س .م . جوشى (٨٢ عاما) ، أحد رواد حركة الاستقلال فى الهند ، فى حديث أدلى به الى صحيفة **تايمز أوف إنديا**[1] : « إن قوانين الشريعة الإسلامية و« تشريعات مانو » (الهندوسية) ، اللتين تتبعهما الطائفتان منذ قرون ، كلتاهما ، وعلى درجة سواء ، رجعية اجتماعيا » .

هذه الآراء التى يجرى تداولها اليوم ، على نطاق واسع ، تدعونا إلى البحث عن أسبابها ودوافعها بدلا من الانفعال إزاءها . والواقع أن هناك سببا واحدا لا غير ، وهو أن النظرية الجديدة حول تباين المرأة عن الرجل لا تزال مجرد حقيقة علمية ، وهى لم تتحول بعد إلى ثورة فكرية . ومن المعهود فى عالمنا أن أية فكرة – مهما كانت مدعمة بالحجج والبراهين – لا تحصل على القبول العام إلا بعد رفعها إلى مستوى الثورة الفكرية .

وكان كل نبى من أنبياء الله يؤكد على عقيدة التوحيد بالأدلة والبراهين ، ومع

---

(١) عدد ٦ أبريل ١٩٨٦

ذلك لم يتم القضاء على الشرك نهائيا ، لتسود عقيدة التوحيد بوجه عام . ولم تتحقق هذه المهمة الثانية إلا بعد أن قام الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه – بنصر من عند الله – بالسمو بعقيدة التوحيد إلى مستوى الثورة الفكرية .

والعصر الحاضر كذلك يتطلب إحداث ثورة فكرية . وقد وفّر العلم الحديث الأسس الاستدلالية لصالحها . والمطلوب من أبناء الإسلام دفع هذه الحركة إلى الأمام ، والقيام بالجهد اللازم لتحويلها إلى ثورة فكرية عالمية . إن هدفنا من هذا الكتاب هو حمل الناس على النهوض للبدء بهذا الكفاح التاريخى .

وحيد الدين خان

١٩ سبتمبر ١٩٨٦

** ** **

مدخل إلى قضية المرأة

ألف السير جيمز جينز (١٨٧٧ - ١٩٤٦) كتابا بعنوان **الكون اللغز** The Mysterious Universe وهو أصدق تعبير عن الوضع الراهن للكون . فالواقع أن الكون كله لغز إزاء عقلنا المحدود . ويستطيع الإنسان أن يضع الأقيسة والنظريات فقط حول الكون ، باستخدام عقله ، وليس بوسعه أن يستوعبه تمام الاستيعاب .

وهذا الغموض الذى يكتنف الكون أدى فى العصر القديم إلى ظهور ما يسمى الآن بالأساطير . وقد اختلق الإنسان معتقدات مزعومة بمحض القياس والظن . وظلت دائرة هذه القياسات تتسع حتى سادت البشرية بأكملها .

وفى كل عصر هناك نظام لمعتقدات الإنسان يحدد مسار تفكيره وعمله . وكان نظام المعتقدات فى العصر القديم قائما على الأساطير والخرافات . وحدث التحول فى هذا النظام للمرة الأولى فى القرن السابع الميلادى فبدأ الاهتمام بالحقائق بدل الأوهام . وجاء هذا التحول الثورى بتأثير الإسلام .

وكانت الأوهام والأساطير قد ظهرت لتساعد على تفسير الكون . كيف خلق الإله السماوات والأرض والنبات والحيوان والإنسان ؟ ما هو الأصل الإلهى للمؤسسات الإنسانية والنظام العالمى ؟ وما هى القوانين الربانية للنجاح والفشل ؟ لقد ظهرت الأساطير لتعليل وتوضيح أسئلة أساسية كهذه . وعلى سبيل المثال انجذاب كل من المرأة والرجل نحو الآخر ، وظهور مؤسسة الزواج كنتيجته الطبيعية . . . لقد جرى تفسير هذه الظاهرة بحكاية مختلقة تقول بأن الرجل كان المخلوق الأوحد فى أول الأمر ، ثم انقسم إلى جزئين : أى رجل وامرأة . ويميل كل منهما نحو الآخر لتحقيق تلك الوحدة الأزلية مرة أخرى . وأرسطو فانس يردد هذه النظرية فى شرحه لأرسطو ، كما تناولتها التوراة أيضا فى أصحاح التكوين مرددا الحكاية المعروفة القائلة بأن حواء خلقت من أحد ضلوع آدم . وكما جاء

فى سفر التكوين (٢ : ٢٣ - ٢٤) فبما أن المرأة استخرجت من الرجل لذلك يهجر الرجل أبويه لكى يتحد مع زوجته ليكونا معا جسدا واحدا مرة أخرى[١] .

بعض الأمثلة

نورد هنا مثالين يوضحان أمرين معا : أولا : الفرق بين « الأسطورة » و« العلم » . ثانيا : أن الإسلام هو الذى قام أساسا - ولأول مرة فى التاريخ البشرى - بالقضاء على عصر الأساطير والخرافات ، ودشّن عهدا جديدا للبشرية .

من بين الأحداث التى تشهدها كرتنا الأرضية كسوف الشمس وخسوف القمر . وقد تم التوصل فى العصر الحديث إلى ماوراء هاتين الظاهرتين من عوامل فلكية . ولكن إنسان العصر القديم كان يجهل هذه الحقيقة ، ولذلك اختلق نظريات غاية فى الغرابة بناء على قياسات افتراضية ، فعلى سبيل المثال كان أهالى الصين القديم يعتقدون حدوث الكسوف بفعل تنّين سماوى . وكلما حدث الكسوف ظن الصينيون أن تنينا هائلا يقوم بابتلاع قرص الشمس ، ومن ثَمَّ أخذوا يُحدثون أقصى قدر من الضوضاء لترويع التنين . وكانوا دائما ينجحون فى إنقاذ الشمس ![٢] والمعروف علميا اليوم أن الكسوف يبدأ وينتهى فى مواعيد محددة ، إلا أن الجموع الصينية كانت تعتقد عند نهاية كل كسوف بأنه قد انتهى بفعل ما أحدثوه من الضجيج ، ليعودوا إلى عادتهم بمزيد من الثقة عند حدوث الكسوف التالى .

لقد ظهر الإسلام خلال هذه الحقبة ذاتها ، إلا أنه اتخذ بشأن الكسوف موقفا مغايرا للاعتقاد السائد آنذاك ، وموقفه يطابق تماما الكشوف العلمية الحديثة .

كان أحد أبناء الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويسمى إبراهيم ، قد توفى وهو

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ، ١٢ /٩١٩ - ٩٢٠ .

(٢) Ian Nicolson,. Astronomy,. 1978.

طفل لم يتجاوز عاما ونصف العام من عمره ، وذلك فى شهر شوال من السنة العاشرة للهجرة . وحدث كسوف للشمس يوم وفاته . وكانت الشعوب فى قديم الزمان تحمل معتقدات غريبة عن الكسوف ، من بينها أن الكسوف والخسوف يحدثان بسبب وفاة رجل عظيم . وبما أن الكسوف فى ذلك العام وقع يوم توفى إبراهيم ابن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فبدأ بعض الناس فى المدينة يقولون : إنه حدث بسبب وفاته ، فجمع الرسول الناس وأوضح لهم الحقيقة . وقد جاء فى الصحيحين :

« فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلّوا وتصدّقوا »[1] .

ومما قاله الرسول الكريم كذلك :

هذه الآيات التى يرسل الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته ، ولكن يخوف الله بها عبادَه ، فإذا رأيتم شيئا من ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره[2] .

لقد قام الإسلام ، ولأول مرة فى التاريخ البشرى ، بالقضاء على مثل هذه الأوهام والأساطير الباطلة .

وتذكر المصادر الإسلامية حادثا وقع فى خلافة سيدنا عمر رضى الله عنه فى مصر على الوجه التالى :

روى ابن لهيعة عن قيس بن حجاج عمن حدثه قال : لما أُفتتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص – حين دخل بؤنة من أشهُرِ العجم – فقالوا : أيها الأمير لنيلنا هذا سُنَّة لا يجرى إلاّ بها . قال : وما ذاك ؟ قالوا : إذا كانت اثنتا عشرة ليلة حلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها فأرضينا أبويها

---

(١) **صحيح البخارى** ، أبواب الكسوف ، باب الصدقة فى الكسوف **فتح البارى شرح صحيح البخارى** (ط . دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ب .ت) ٢ /٤٢٤) .

(٢) **صحيح البخارى** ، أبواب الكسوف ، باب الذكر فى الكسوف (**فتح البارى** ٢/٤٣٧-٤٣٨) .

وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها فى هذا النيل . فقال لهم عمرو : إن هذا مما لا يكون فى الإسلام . إن الإسلام يهدم ما قبله . قال : فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى والنيل لا يجرى قليلاً ولا كثيرا حتى همّوا بالجلاء . فكتب عمرو الى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب اليه : إنك قد أصبتَ بالذى فعلتَ ، وقد بعثتُ اليك بطاقةً داخل كتابى فألقِها فى النيل . فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة فإذا فيها : « من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر . أما بعد : فإنك إن كنت إنما تجرى من قبلك ومن أمرك فلا تجرِ ، فلا حاجة لنا فيك . وإن كنت تجرى بأمر الله الواحد القهار ، وهو الذى يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك » . قال : فألقى البطاقة فى النيل ، فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة . وقد قطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم[1] .

ضرورة علمية

أدى شيوع الأساطير والخرافات فى العصر القديم إلى تبنّى الإنسان وجهات نظر غير واقعية حول كافة الأمور ، إلا أن قضية المرأة تضمنت عاملا إضافيا . .

ويمكن القول : ان حاجات المجتمع الإنسانى المختلفة توزع وتتم بصورة إجمالية على ساحتين :

أولا : الأعمال المطلوب إنجازها داخل البيت .

ثانيا : الأعمال المتعلقة بخارج البيت .

ويعتبر البيت الأساس الأول للمجتمع الإنسانى ، وهنا يجد المرء سويعات

---

(١) ابن كثير ، **البداية والنهاية** (ط . دار الفكر العربى ، بيروت ، إعادة الطبعة الأولى لسنة ١٣٥١ /١٩٣٢) ٧ /١١١ .

الراحة ، وهنا يتربى الجيل القادم لأية أمة . والبيت وحدة من الوحدات التى تشكل المجتمع . والمجتمع البشرى ينعدم بانعدام البيت . وكما أن وضع اللبنات بعضها فوق بعض بأسلوب سليم يؤدى بالضرورة إلى إقامة بناء سليم ، كذلك إصلاح البيت يمهد الطريق الى إصلاح المجتمع كله .

إلا أن طبيعة هذين النوعين من الأعمال يختلف بعضها عن البعض . فأعمال البيت ليست خشنة ، وتصلح لها الكفاءات العاطفية ، بينما الأعمال المتعلقة بخارج البيت تحتاج الى كفاءات فعالة وإلى امتلاك الإنسان جسدا أصلب وأعصابا أقوى . ويحتاج استمرار وتقدم الحضارة الإنسانية إلى النوعين من الكفاءات ، لذلك شاءت القدرة الإلهية أن يكون الرجل والمرأة نوعين منفصلين . وأودعت فى المرأة كفاءات عاطفية أكثر ؛ لتقوم بإدارة أعمال البيت ، كما أودعت فى الرجل كفاءات ذات فعالية أكثر ؛ ليتولى هو بدوره مسئولية الأعمال المتعلقة بخارج البيت .

وبمراعاة هذه الحكمة فى تنظيم شئون الحياة ، وتوزيع الأعمال على كل نوع لما خُلِق من أجله سيبقى مسار نظام الحياة سليما ومتوازنا ، وبانعدام هذه الحكمة سيفقد نظام الحياة توازنه وسيتجه نحو الدمار .

ولم تستوعب أغلب شعوب العالم القديم هذه الحكمة . فقد شاهدت أن الرجل يتولى المرافق المعيشية ، ويتكفل بالدفاع عن الشعب عند المواجهة والحرب . وبما أن الرجل كان يتولى مسئولية إنجاز كافة الأعمال الشاقة ، فقد شاع الاعتقاد فى تلك المجتمعات بأن الرجل كائن أعلى والمرأة كائن أدنى . لقد شاءت القدرة الإلهية أن يكون التباين بين المرأة والرجل لدواعى الحاجة الطبيعية أما تلك المجتمعات فرأت أن هذا التباين هو لأجل تحديد أولوية جنس على الآخر . ولذلك نجد أن كافة المجتمعات القديمة كانت تنتقص من قيمة المرأة إزاء الرجل ، وكانت تعاملها بازدراء إزاءه .

أوهام عن المرأة

ونتيجة للانتقاص من شأن المرأة إزاء الرجل اُعتبرت المرأة تافهة فى نظر

المجتمع ، فلم تكن تستحق وراثة أملاك الأسرة ، و لم تكن متساوية فى نظر القانون مع الرجال فى الحقوق ، وأصبحت بمثابة العبيد من الناحية العملية . . حتى وجدت لدى بعض القبائل الجاهلية عادة وأد البنات بعد ولادتهن مباشرة .

والمعهود عن الإنسان أنه يختلق القصص حول « أولوية » وتقديس ما يعتبره فى درجة أعلى . ولو قرر عقله عن شيء ما أنه فى درجة أدنى فسيبدأ باختراع الحكايات ليخيل اليه أن ما يعتبره تافها هو كذلك فى واقع الأمر .

وقضية المرأة لا تختلف عن هذا فى شيء . وكانت غالبية الشعوب فى العصور القديمة تتداول حكايات غريبة لم تكن فى واقع الأمر إلا أساطير مختلقة لا أصل لها ، إلا أن الناس أصبحوا يعتقدونها حقيقة واقعة لشيوعها فى المجتمعات القديمة . فالحكايات التى تنتقص من شأن المرأة وتدعو إلى ازدرائها ذاعت فى كل أرجاء العالم ولدى كل الشعوب . ونشير هنا الى حكايتين معروفتين :

من الحكايات المختلقة ما تداولها قدماء اليونان وعن طريقهم شاعت فى الشعوب الأوربية الأخرى ، وهى تتعلق عن « المرأة الأولى » ، أى أول امرأة ظهرت على وجه الأرض . وعن هذه المرأة اخترعت قصص وحكايات تداولتها اللغات والاداب العالمية حتى أصبح الناس يؤمنون بها وكأنها حقيقة واقعة .

تلك « المرأة الأولى » كانت تعرف باسم « باندورا » (Pandora) وهى كلمة يونانية معناها « مانح كل شيء » ، إلا أنها استخدمت للدلالة على أمر سيئ ، أى مانح كل أنواع الشرور . والحكاية المختلقة تقول : إن « الإله » بروميثيوس (Prometheus) سرق النار من السماء وأعطاها لسكان الأرض مما أغضب كبير الآلهة زيوس (Zeus) فقرر أن يخلق امرأة سماها « باندورا » ، ليحرم سكان الأرض من النعم . وأنزلت تلك المرأة الى منطقة كان يستوطنها آنذاك إيميثيوس (Epimetheus) فتأثر بجمالها واتخذها زوجا له لتعيش معه . وكانت هذه المرأة تملك صندوقا يعرف بـ « صندوق باندورا » (Pandoras Box) . وذات يوم بعد سكناها بالأرض قامت بفتح الصندوق الذى كان يمتلىء بالشرور

من كل نوع ، وبمجرد فتحها لغطائه خرجت الشرور وانتشرت على وجه الأرض . ومنذ ذلك اليوم لم تخل الأرض من الشر يوما .

وشاعت بين اليهود والنصارى حكاية أخرى مثلها ، مع اختلاف طفيف ، عن السيدة الأولى « حواء » . وقد أضيفت هذه الحكاية الى التوراة على النحو الآتى :

وأخذ الرب الإلهُ آدمَ ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها . وأوصى الرب الإله آدمَ قائلا : من جميع شجرة الجنة تأكل أكلا ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها موتا تموت . وقال الرب الإله : ليس جيدا أن يكون آدم وحده فأصنعُ له معينا نظيره . وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها الى آدم ليرى ماذا يدعوها . وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها . فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية . وأما لنفسه فلم يجد معينا نظيره فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما . وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأةً وأحضرها الى آدم . فقال آدم : هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى . هذه تدعى امرأة لأنها من امرئ أُخذت . لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا . وكانا كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لا يخجلان .

وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الإله . فقالت للمرأة : أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة . فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل . وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا .